مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: المصور
التاريخ: ١٩٧٦/١/١٦

أخطاء ثورة ١٥ مايو..

① عدم محاكمة مراكز القوى سياسيًا جمعية المنتفعين

● قد يرى البعض انه اصبح من تحصيل الحاصل أن نذكر دائما وباستمرار ما حققته ثورة ١٥ مايو ١٩٧١ التى قادها بشجاعة وايمان الرئيس محمد انور السادات ضد قادة مراكز القوى التى كانت قد احكمت سيطرتها على كل اجهزة الامن والجيش ومجلس الشعب والاتحاد الاشتراكى ووسائل الاعلام ..

قد يتصور البعض ان هذا اصبح حديثا معادا واصبح تكراره مثيرا للملل .

بل ان البعض قد يعتبر تكرار ذكر هذه المكاسب التى حققتها ثورة التصحيح للشعب نفاقا وزلفى .

ولكن على هؤلاء ان يذكروا ان الرئيس السادات ليس فى حاجة الى قصائد المديح، فقد انتقل من مرتبة الحاكم الى مرتبة الزعيم وخاصة بعد حرب اكتوبر المجيدة ، وقد التف الشعب حوله بكل الحب الصادق بصورة تذكرنا بزعامة مصطفى كامل وسعد زغلول ومصطفى النحاس .

وعلى هؤلاء الا ينسوا ابدا الى اى مدى كان الموقف قد تدهور فى مصر .

باختصار كنا قد وصلنا الى :

● احتلال عسكرى لاراضى سيناء الغالية .

● خراب مدن القنال وهجرة ابنائها وتشردهم فى مختلف المحافظات .. اصبحوا لاجئين بكل ما تحمله هذه الكلمة من قسوة .

● انهيار اقتصادى كاد يدمر كل مرافق بلادنا بل واوشك ان يقودنا الى افتقاد لقمة العيش الضرورية .

● تمزق مرير واليم فى نفوس المواطنين دفع بالعديد منهم الى الهجرة من ارض الوطن ، والقى بالملايين الى هوة اليأس

القاتل ، كاد الانسان المصرى يصبح فى اعماقه اجوف بل ومهلهلا .. الاخ كان يشك فى اخيه والصديق يخاف الحديث مع صديقه وكثيرون كانوا يتساءلون كلما دار الحديث عن ضرورة القتال لتحرير الارض السليبة :

ـ نحارب من اجل من ؟!

ـ نضحى لصالح من ؟!

على صبرى الذى يرفع راية الاشتراكية وهو يعيش فى قصر استورد له الرخام من ايطاليا ؟ أم شعراوى جمعة الذى دخل ـ بالاشتراك مع اللواء حسن طلعت ـ فى مباراة مع سامى شرف لاثبات ايهما اكثر ثراوة وثراسة فى ارهاب المواطنين واغتصاب الاعراض وتلفيق القضايا

ام نضحى من اجل سعد زايد الذى كان يباهى بان القانون فى « اجازة » ؟

كانت الصورة قاتمة تماما واليأس يكاد يكون تاما وشاملا .

والقدم الرئيس انور السادات على ثورة التصحيح مستندا الى ايمانه بالله سبحانه وتعالى ومعتمدا على ثقة الشعب ووعيه واخلاص بعض العناصر الشريفة وفى مقدمتهم السيد ممدوح سالم الذى كان يعمل محافظا للاسكندرية وقتئذ والذى لم يتردد لحظة فى الانضمام الى الرئيس السادات والاقدام على الاستيلاء على وزارة الداخلية دون مبالاة بما قد يصيبه فى حالة الفشل لا قدر الله .

وقد تحقق للشعب مجموعة من المكاسب التى كنا نعتبر تحقيقها حلما بعد سنوات الظلام الرهيب التى عشناها ، وفى مقدمة هذه المكاسب ما يلى :

ـ اغلاق المعتقلات والافراج عن المعتقلين والمسجونين السياسيين .. وكانت المعتقلات قد اقفلت ابوابها فى اوائل عام ١٩٥٠ عندما افرجت حكومة الوفد عن المعتقلين ، وعاشت مصر مرحلة رائعة اطلقت فيها كل الحريات الى اوسع مدى ، ثم عادت المعتقلات بعد حريق القاهرة واقالة وزارة الوفد ، واستمرت الاعتقالات وزاد عدد المعتقلين بل واصبحنا نعتقل فى السجون دون امر من النيابة وهو ما كان يحرمه القانون .

ـ الغاء الرقابة على الصحف واطلاق حرية الكلمة .

ـ اعلان سيادة القانون واعادة القضـــاة واساتذة الجامعات المفصولين .

ـ الغاء الحراسة وتصفية اعمالها .

كل هذا وما اعقبـــه من طرد الخبراء السوفييت واتخاذ قرار العبور يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣ وتحطيم خط بارليف .. والقضاء على خرافة نظرية الامن الاسرائيلى واكذوبة ان قوات اسرائيل لا تقهر وارتفاع اسم مصر على الصعيد الدولى .. كل هذا ادى الى تحرير الانسان المصرى من الخوف واعادة الثقة الى نفوس الملايين من ابناء مصر بل والامة العربية كلها .

كل هذا ادى الى تثبيت زعامة السادات واحساس الجميع بانه الوحيد القادر على قيادة سفينة البلاد فى هذه المرحلة .

ولكن :

بعد كل هذا الايضاح الذى قد يرى فيه البعض حديثا معادا او تكرارا يثير الملل اجد نفسى اتساءل :

- **ترى ما هى اخطاء ثورة ١٥ مايو ؟**
- **والى اى مدى يمكن ان تتضاعف ثمار هذه الثورة لو امكن تلافى هـــذه الاخطـــاء والتصدى لها بشجاعة ؟**

ان دروس التاريخ منذ فجر البشرية تؤكد ان قيام الشعوب بالثورات لا يتم بسهولة ولا يتكرر الا كل اجيـــال بل واحيانا كل قرون .

وهناك شعوب تتميز بالصبر الطويل مثل الشعب المصرى الذى يمتد تاريخ حضارته الى سبعة آلاف سنة ورغم هذا تعدد الثورات التى قام بها محدود ، وليس معنى هذا انه شعب مستكين او متخاذل ولكنه شعب يعرف كيف ومتى يثور .. انه شعب صبور ، صبور ولكنه اذا ثار كانت ثورته عارمة .

ومن يتشكك فى هذه الحقيقـة عليـه ان يدرس جيدا ـ وبالذات ـ تاريخ ثورة ١٩١٩ وتاريخ ثورة ١٩٣٥ ثم ايضا التاريخ الباهر للنضال ضد الاستعمار فى القنال بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦

وبعض الثورات تعود بالكثير من الخير على الشعب واحيانا على البشرية كلها ..واصدق مثل على ذلك هو الثورة الفرنسية رغم غزارة الدماء التى سالت خلالها .

وبعض الثورات تأتى بنتيجة عكسية خاصة اذا احتواها مجموعة من المنتفعين واللصوص .

وثورة ١٥ مايو بالذات أحدثت تغييرات جذرية فى الانسان المصرى .. حررته من الخوف وردت اليه كرامته وصانت له عرضه ثم كان القيام بها هو السطر الاول فى تاريخ حرب اكتوبر المجيدة .

ولكن مع كل ايمانى بثورة ١٥ مايو ، ومع كل الحب والتقدير للرئيس السادات ، فان الامانة نحو مصر وشعبها وثورة التصحيح وقائدها تقتضى ان اقول ان هناك اخطاء لها يحسن ان نناقشها فى هذه الايام للاسباب التالية :

اولا : اذا لم نناقش هذه الاخطاء فاننا نكون فعلا غير مؤمنين بثورة التصحيح التى يؤكد قائدها دائما ترحيبه بكل نقد واحترامه لما يجمع عليه الجماهير .

ثانيا : تجاهل هذه الاخطاء او ارجاء الحديث عنها سيقودنا حتما الى نتائج وخيمة قد يكون ـ بل وحتما سيكون ـ من بينها ضياع مكاسب هذه الثورة والعودة بنا الى سنوات الارهاب وعهد الظلام .

ثالثا : مصر بعد كل المعاناة التى عاشتها خلال فترة حكم الفرد الواحد لم تعد تحتمل المزيد من التجارب خاصة اذا كان الامر يتعلق بحرية ابنائها او بلقمة العيش التى اصبح الحصول عليها صعبا بالنسبة للجميع باستثناء الذين اثروا وتضخمت ارصدتهم من دم الشعب المسكين .

واول خطأ آخذه على ثورة ١٥ هو :

عدم محاكمة جميع مراكز القوى جنائيا .

وانبه القارىء الى كلمتين هما : «جميع» و «جنائيا» .

ان ثورة التصحيح عندما نجحت اكتفت بمحاكمة على صبرى وعصابته سياسيا

وهؤلاء لم يكونوا مركز القوة الوحيد الذى شهدته مصر منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وحتى ١٥ مايو ١٩٧١ .

وللمزيد من الايضاح أقول ان مراكز القوى قد ظهرت فى مصر اثناء وبعد الصراع الذى حدث بين اللواء محمد نجيب والمرحوم جمال عبد الناصر خلال وبعد الايام التى عرفت

باسم حركة مارس ١٩٥٤ . ثم ما اعقبها من محاولات لابادة كل القواعد الشعبية ابتداء من الوفد وانتهاء بالاخوان المسلمين وكذلك اغلاق الصحف التى كانت ترفع راية الحرية وفى مقدمتها جريدة المصرى وكذلك جريدة الجمهور المصرى بل ان روز اليوسف ايضا كادت تلحق بهما !!

الضباط الذين ساندوا محمد نجيب قبض عليهم بعد ذلك ، وقام زملاء لهم بتعذيبهم فى مباراة وحشية لا عن ايمان بفساد ما كان ينادى به زملاؤهم من ضرورة عودة الجيش الى الثكنات واطلاق الحريات ، وانما كان حماسهم وكانت شراستهم للتقرب من المرحوم جمال عبد الناصر املا فى كسب ثقته حتى يعتمد عليهم ويطمئن الى اخلاصهم لشخصه.

من بين هؤلاء اذكر اسم حمزة البسيونى مدير السجن الحربى واسماعيل همت مدير سجن مصر .. وامثالهما

هذه المجموعة بالذات كانت اول مركز قوة ظهر بعد ٢٣ يوليو ، وجريمتهم الكبرى انهم دفعوا بالجيش الى ثلاث فرق :

مجموعة اسرعت بترك الجيش سعيا وراء المكاسب المادية فى هيئة التحرير ثم فى القطاع العام ومناصب الوزراء .

ومجموعة تحطمت وقادها اليأس الخروج من الجيش والانزواء عن الخدمة العامة وعاشوا فى سلبية تامة .

ومجموعة اضطرت الى البقاء فى الجيش والدهر يكاد يفتت قلوب اصحابها خاصة كلما اقترب موعد صدور النشرة الخاصة بالترقيات او التنقلات او الاحالة الى الاستيداع .

وضحايا هذه المجموعة الارهابية أحياء واكتفى بذكر اسم واحد منهم هو الاستاذ عبد الفتاح على أحمد نائب وزير الادارة المحلية حاليا .. اسألوه كيف عذب وهو ضابط فى المدرعات .. كيف احرقوا اصابع آدميه .. اسألوه وحاكموا هذه المجموعة .

ان جرائم هذه المجموعة لم تنعكس على ضحاياهم فقط ، ولكنها كانت البداية للعفن الذى تغلغل وقتئذ فى الجيش .. البداية لهزيمة ١٩٦٧ .

جرائم بالجملة

ثم توالت مراكز القوى برز منها البعض على مستوى أعضاء مجلس قيادة الثـــورة السابقين ممن أعطى لهم المرحوم جمـــال عبد الناصر سلطات وصلاحيات ومهام فـوق طاقة اى بشر

وعلى أيدى كل هؤلاء تمت مجمـــوعة من الجرائم التى كان من الضرورى أن يحاسبوا عليها سياسيا وجنائيا مثل :

١ ـ مجزرة القضـــاء وما تعرضت له العدالة فى مصر من عدوان وما لحق بمجموعة كبيرة من الاسرة القضائية من فصل وارهاب وتشريد .

هل حوسب احد ممن شـــاركوا فى تدبير وتنفيذ هذه المجزرة ؟

هل سئل محمد ابو نصير وزير العـــدل حينئذ .. مجرد سؤال ؟

مع الاسف لم يحدث رغم ان الصحف قد افاضت فى نشر تفاصيل هذه المجزرة .

٢ ـ الاثراء غير المشروع ابتداء من نهب القصور الملكية المصادرة بل والقبور التى لم تسلم من عبث عشـــاق الرخام والتحف والسجاجيد .

هناك فى مجال المقابر واقعة معروفة وثابتة وشهودها احياء والمتهم فيها كان نائبا لرئيس الوزراء . وقد بدا التحقيق فى هذه الواقعة ثم توقفت .. لماذا ؟ لا ادرى .

٣ ـ والحـــراسات .. كيف استخدمت ابشع استخدام سواء من أجل الانتقام او الاثراء .. هل حوكم احد بسببها جنائيا ؟

٤ ـ احتواء النقابات المهنية والعمالية والتنظيمات الطلابية وافساد مجموعات من قياداتهم بالمال والرحلات وغيرها بهدف تاليه الفرد . هل حوكم من دبروا كل هذا ؟

٥ ـ المسئولون عن هزيمة يونيـــو سنة ١٩٦٧ ـ رغم مضى خمس سنوات على ثورة التصحيح ـ هل حوكم احد المسئولين عنها ؟

سمعنا ونسمع الكثير عن تشكيل لجنـــة او لجان لتقصى اسباب الهزيمة التى لم تعرف لها مصر مثيلا منذ ايام الهكسوس .. ثم يسود الصمت .

٦ ـ السيطرة على اجهزة الامن فى المخابرات العامة ومباحث امن الدولة واتخاذ كل منهما

مقرا او وكرا للتنكيل بالمواطنين والمواطنات، واثارة الكراهية بين الشعب وهذه الاجهزة تماما كماكان يفعل الانجليز عنـــدما كانوا يوفرون صدور المصريين البسطاء ضدالبوليس بينما يبتسم الحـكمدار الانجليزى فى خبث ودهاء .. هل حوسب احد على هذا ؟ ابدا .

فى هذه الاجهزة شرفاء يحاربون الصهيونية وجواسيسها ولكن القيـــادات كانت متفرغة للتنكيل بالشعب وبالاثراء السريع .

كلنا نذكر ان مجموعة عبد الحكيم عامر حوكمت بعد هزيمة ٥ يونيو ، لا من اجل الهزيمة بل بسبب اقدام هذه المجموعة على التصدى لجمال عبد الناصر ومحاولة القيام بانقلاب ضده .

وقد حوكم على صبرى ومجمـوعته عقب نجاح ثورة التصحيح .. حوكموا سياسيا على اساس انهم حاولوا السيطرة على رئيس الجمهـــورية من خلال سيطرتهم على الجيش ووزارة الداخلية والمخابرات العامة والاتحاد الاشتراكى ومجلس الشعب واجهزة الاعلام.

حوكموا وادينوا سياسيا ولكنهم لم يحاكموا جنائيا .

لم يسال احدهم : من اين لك كل هذا ؟

لم يحاسب احدهم ـ او غيرهم من مراكز القوى التى سبقتهم ـ عن القصور التى اقتنوها والاموال التى هربوها والاعراض التى هتكوها .

هذا هو الخطأ الاول الذى وقعت فيه ثورة ١٥ مايو

سبل الامان

لو ان بعضهم ـ على الاقل ـ قد حوكموا جنائيا وتم تعريتهم امام الراى العام لكان هذا عبرة لغيرهم ، ولما وصل عدد اصحاب الملايين منهم ومن انصارهم الى ٥٠٠ مليونير.

صحيح ان بعضهم قد اصبحوا من اصحاب الملايين من نهب القصور والمجوهرات المصادرة ومن الحراسات ومن المتاجرة بقضايا الفلاحين والعمال ومن العمولات .

ولكن الصحيح ايضـا ان بعضهم قـد اصبحوا اصحاب ملايين خلال السنوات الخمس الاخيرة .

لقد اطمانوا الى ان السلطة لن تحاسبهم ما داموا بعيدين عن التصدى لها أو محاولة التآمر عليها ، وقد زادهم هذا جشعا وشراسة دون أى اعتبار لالام الشعب وقسوة الظروف التى يعيشها .

رفع بعضهم أعلام الاشتراكية وتاجر بعضهم بالناصرية ، ولم يتورع بعضهم - رغم انهم اصبحوا من أصحاب الملايين - عن التحالف مع الماركسيين أو تجار الماركسية

واصبحت سبل الامان بالنسبة لهم هى :

عضوية الاتحاد الاشتراكى ومحاولة الوصول الى مركز قيادى فى هذا التنظيم - الالتفاف بذكاء حول بعض المسئولين من قادة المؤسسات الدستورية وركوب كل موجة جديدة - عقد مصاهرات بين ابنائهم وبناتهم - التصدى بكل الوسائل الملتوية أو المكشوفة لكل من ينادى بالحرية - العمل على عدم الوصول بالبلاد الى اسس واضحة لارساء الحياة الديموقراطية السليمة .

وقد كان من اسلحتهم الكريهة حتى عهد قريب محاولة ايهام الحاكم بانهم اكتشفوا مؤامرات ضده وانهم حماته واخلص الناس له ..

ولكن هذا السلاح بالذات لا يجدى مع مع الرئيس انور السادات بالذات .

كما ان أجهزة الامن ممثلة فى المخابرات العامة ومباحث امن الدولة قد عادت الى مهماتها الاصلية فى خدمة الوطن والشعب ضد الاستعمار العالمى والصهيونية .

ان ثورة ١٥ مايو قد حققت الكثير واهم شىء هو تحطيم جدار الخوف واعادة الثقة الى الانسان المصرى ، ولكن مكاسب ١٥ مايو كان يمكن أن تتضاعف لو ان **جميع** مراكز القوى قد حوكموا **جنائيا** .

ومرة اخرى أضع خطا تحت كلمتين هما: جميع وجنائيا .

وقد يقول قائل :

● وهل ظروف البلاد فى هذه المرحلة تسمح بأن نفتح الملفات ونصلح هذا الخطأ الذى وقعت فيه ثورة ١٥ مايو ؟

والى هؤلاء اقول :

- العدول عن الخطأ خير من الاستمرار فيه .

ـ ما لم يحاكم هؤلاء الناس جميعا وجنائيا فسيظل بعض الناس فى خوف وشك .

ـ اذا لم يدفع هؤلاء الناس ثمن جرائمهم فلن ندهش اذا ظهر «خلفاء» لهم وتلاميذ جدد فى الارهاب .

ـ تعرية هؤلاء الناس واسترداد اموال الشعب منهم سيوقف غيرهم عن السير فى طريق « التهليب » وسلب قوت الشعب .. سيوقف النزيف الذى ما زال يتعرض له اقتصادنا .. لن يتضخموا من «قطط» سمان الى بقرات كما قال عنهم الدكتور رفعت المحجوب ولكنهم سيصبحون جرذانا تعيش فى هلع ورعب ..

ـ المعركة مع العدو حتى تحرير الارض كاملة لا تعنى السكوت على الفساد ، بل ! هذا السكوت قد يقود الناس الى التشكك فى صدق العزم بالنسبة لتوزيع الاعباء المالية ومحاولة اتخاذ خطوات جادة نحو تطبيق قانون من اين لك هذا .

وغيره .. وغيره .. مع انهم نهبوا اموال الشعب وزجوا بالوف الابرياء فى السجون وهتكوا الاعراض وحولوا مصر الى سجن كبير .

ولولا ثورة ١٥ مايو لازدادت الهوة عمقا وانقطع حبل الامل نهائيا فى نفوس المواطنين

اننى من اشد الناس حماسا لثورة التصحيح .. اننى مدين لهذه الثورة الرائعة ولقائدها بالكثير .. ولكن هذا الحماس للثورة وهذا الحب للقائد هما الدافع لكتابة هذه السلسلة من المقالات .

وفى الاسبوع القادم اقدم للقراء ثانى اخطاء ثورة ١٥ مايو ..

فالى اللقاء

إبراهيم البعثى